متابعات

القصة القصيرة تتصدّر المشهد الثقافي بالمغرب

❑ القاهرة ـ مع الرواج النقدي والجماهيري لفن الرواية في العالم العربي في السنوات الأخيرة تراجعت القصة القصيرة لدرجة أن نقادا عربا حذروا من أن يختفي فن القصة لتلحق بفن المقال والنصوص المسرحية التي كان كتابها يحظون بمكانة مرموقة في الستينات ولا يقلون شهرة عن المخرجين والممثلين المشاركين في العروض. لكن الكاتب المغربي محمد اشويكة يؤكد أن القصة القصيرة في بلاده بخلاف الحال في معظم الدول العربية تشهد حاليا انتعاشا ملحوظا يتضمن ثراء في "المغامرات" الفكرية والفنية. ويقول إن القصة أصبحت في صدارة المشهد الثقافي بالمغرب "وكشفت عن مغامرات إبداعية مهمة لكتاب لا وهم لديهم خارج الكتابة نفسها.. يؤمنون بأن القصة لحظة وجودية للقبض على القول الإنساني.. القصة المغربية الجديدة تنتصر للكتابة أولا" بما تحمله من أفكار وجماليات. ويضيف أن القصة القصيرة الجيدة هي نتاج تجربة عميقة لكاتبها "وتقوم أصلا على الاشتغال على المأزوم لذلك فهي كتابة محرجة وقلقة.. القصة لا تنتعش إلا في الأزمة وبها."

معرض لوحات تجريدية لعبد القهار شداد

❑ بغداد ـ يقدم الفنان التشيكلي العراقي عبد القهار شداد تجربته الجديدة في عالم الرسم التجريدي عبر عرضه حوالي ثلاثين من لوحاته في قاعة "اكد" في وسط بغداد. "ذاكرة راكدة" هو المعرض السادس لشداد والأول على صعيد التجريد بعد أن اهتم طوال سنوات عديدة بالمرأة والتفاصيل الحياتية في أعماله سواء في الرسم أو النحت. وتتميز اللوحات بألوان باهرة قوية تعكس تجربة جديدة للفنان الذي يستعين بألوان أفتقدتها لوحاته السابقة كالأصفر الذهبي والبرتقالي والبنفسجي وما تحمله من أشكال وتراكيب غائرة في تفاصيلها. ولا تخلو اللوحات التسع والعشرون من رموز انثوية واضحة وإن اختلفت طريقة اظهارها بعد أن كانت أعماله السابقة طافحة بالمرأة.

شعراء العربية خلال القرون الخمسة الماضية

❑ الكويت ـ أعلن رئيس مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للابداع الشعري عبد العزيز البابطين عن بدء المؤسسة بانجاز معجم جديد لشعراء العربية خلال القرون الخمسة الماضية. وأوضح أن المؤسسة ستبدأ في البحث خلال الأيام المقبلة في كل المكتبات ودور المخطوطات عن تراجم الشعراء وأعمالهم لكي يتم تجميع كافة المعلومات عن حياتهم وعن بعض ما قدموه من شعر أو أدب. وقال إن "المدة الزمنية التي حددناها وهي الخمسة قرون قد نقتصرها إلى أقل من ذلك إذا لم نستطع ايجاد المصادر التي تغطي كامل الفترة، وبالنسبة إلى عدد الشعراء فإنه قد يصل إلى عشرات الآلاف أو فقط الآلاف ويعتمد ذلك أيضا على الكتب والمخطوطات التي سنجدها في دور المخطوطات". وأفاد بأن المؤسسة لم تجد إلى الآن الاسم المناسب لكي تطلقه على هذا المعجم لأنها لا تريد الاستعجال باختيار اسم معين قد يسيء لأي شعب أو لأي عربي عند اختيارها اسما بشكل خاطئ.

أمريكا ضيفة شرف معرض الدوحة للكتاب

❑ الدوحة ـ تقام في قطر الدورة الـ 19 من معرض الدوحة الدولي للكتاب، خلال الفترة من 24 ديسمبر المقبل إلى 3 يناير 2009، بمشاركة أكثر من 20 دولة عربية وأجنبية. ويتوقع القائمون على المعرض زيادة عدد الأجنحة المشاركة بالمقارنة مع المعرض السابق، الذي بلغ عدد الأجنحة فيه 450 جناحا، حيث سيتضاعف العدد ليصل إلى نحو 760 جناحا موزعة على حوالي 340 دار نشر. وسوف يحتوي على أجنحة خاصة بكتب الأطفال وشركات الحواسيب الإلكترونية، وناشري الكتب الأجنبية. وستصل العناوين المعروضة، إلى قرابة ثمانين ألف عنوان. وسيشهد معرض الدوحة الدولي للكتاب لأول مرة استضافة دولة كضيف شرف، وهي في هذه السنة الولايات المتحدة الأمريكية، والتي سيكون لها جناح خاص بها.

المستشرقون أحدثوا الكراهية بين الثقافات

❑ دمشق ـ صدر حديثا في دمشق عن دار الفكر كتاب للدكتور علي بن إبراهيم النملة بعنوان "صناعة الكراهية بين الثقافات" وأثر الاستشراق في افتعالها، ويقع في 174 صفحة ويعالج المشاعر السلبية التي تحملها ثقافات الأمم بعضها تجاه بعض، ومبعث هذه الكراهية وما يغذيها، وما تثيره من مواقف ونقاشات ونتائج. ويلاحظ المؤلف أن الاستشراق توجه إلى السياسة، وأنه ركز على البعد السياسي على حساب أبعاد الاستشراق الأخرى، مما أكسبه سمعة غير إيجابية بين المفكرين العرب والمسلمين، ويضيف إن توجه الاستشراق إلى السياسة وطغيان هذا التوجه يقوي من نزوع الاستشراق إلى صناعة الكراهية بين الثقافات، وأن هناك بعدا آخر ومهماً في مشروع صناعة الكراهية، وهو ذلك البعد الذي يسعى فيه بعض المفكرين إلى صناعة الكراهية داخل الثقافة الواحدة كالثقافة الإسلامية مثلا.

رؤية

المخرج اللبناني سمير حبشي للعرب:
السينما أقوى سلطة في العالم
● أنا ملتزم بقضايا الانسان ومعاناته

❑ عبد المجيد دقنيش

بعد أن نشاهد فيلم «دخان بلا نار» الذي يعتبر صرخة سينمائي ومثقف في وجه الصمت العربي المطبق وفي وجه الجلادين، لابد أن تمر بخيالنا كل كتابات الرائع عبد الرحمان منيف وخاصة قوله «العذاب الحقيقي يا صاحبي هو أن نعيش في الوهم نفترض بعض الأحيان أننا مادمنا خارج السجن فنحن أحرار ونظل في هذا الوهم إلى أن يطبق الفخ على أقدامنا وعندها نندم لأننا لم نفعل شيئا ليس فقط لئلا ندخل السجن وإنما لأننا لم نفعل ما يجب علينا لكي لا يكون السجن والجلادون أصلا»، ولكن المخرج سمير حبشي من خلال هذا الفيلم وهذا اللقاء أوضح أنه يسعى للقيام بواجبه حتى لا يكون هذا السجن وهؤلاء الجلادون.

■ كيف وجدت هذه الدورة من أيام قرطاج السينمائية؟

● شاركت في أيام قرطاج السينمائية منذ سنة 1990 ثم كانت مشاركتي سنة 1994 بفيلم طويل إسمه «الاعصار» ثم سنة 2004 كان فيلم «سيدة القصر» وهذه السنة أشارك بفيلم «دخان بلا نار».

وأيام قرطاج السينمائية- ومثلما عودتنا - هي تظاهرة غنية بالأفلام والضيوف والتقاء الثقافات لذلك أعتبر هذا المهرجان أهمّ مهرجان على مستوى عربي لذلك فكل مشارك يحس بنفسه وكأنه في بيته وهذا راجع إلى الحفاوة الكبيرة من قبل الشعب التونسي الطيب والمشاهد التونسي الرائع الذي يتابع الأفلام بشكل جيّد وهذا ما لا يمكن أن نجده في بقية الأقطار العربية. لذلك فميزة هذه الأيام هي هذا الجمهور المثقف.

■ لننطلق من العنوان «دخان بلا نار» الذي يحمل كثيرا من التناقضات، فهل هو إحالة على الواقع اللبناني المليء بالمتناقضات؟

● هناك مثل شعبي يقول «لا دخان بلا نار» أنا أردت أن أقول في هذا العصر وهذا الزمن زمن الالتباس وزمن الكذب وزمن القمع العالمي والمحلي وزمن الاعلام المنافق لابد أن يوجد دخان بلا نار، الناس اليوم يسيرون عكس التاريخ والقامعون يحاولون قمع التاريخ والحياة ولكنهم لن يستطيعوا مهما حاولوا وسينفضحون.

هذه وجهة نظري مهما كانت قاسية، هو فيلم عن القمع الذي يحدث في بيروت ولكنه يمكن أن يحدث في أي بقعة من العالم، وهذه الحادثة التي تقع في بيروت هي مجرد حجة ووسيلة للانطلاق نحو الخطر الأكبر والقمع الكبير الذي يحدث في كل العالم من غوانتنامو إلى العراق إلى بيروت.

ومن هنا فالفيلم محاولة لتسليط الضوء على الواقع المتناقض والملتبس ومحاولة خلق حقائق غير موجودة من قبل عالم يدعي الديمقراطية وحرية التعبير والرأي. لذلك ليس بالضرورة أن يكون القمع في السجون إذ يمكن أن يتم من خلال الاعلام وتلفيق الأخبار بواسطة اختراع ظواهر لا تمت للحقيقة بصلة.

■ في آخر الفيلم هناك إشارة إلى أن السيناريو مأخوذ عن قصة حقيقية وأن البطل خالد الحداد الذي تعرض للقمع يعيش اليوم في بغداد، فهل هذا صحيح؟

● قصة الفيلم مأخوذة من السيناريو الذي ألفته أنا وهي قصة خيالية افتراضية ولا علاقة لها بالحقيقة، والاشارة في آخر الفيلم تدخل في أسلوب السيناريو الروائي المركب الذي يحاول أن يقنع ويوهم بأن الفيلم مأخوذ عن قصة حقيقية واستنتاجك هذا يعني أنني نجحت في لعبة الايهام. لذلك فالفيلم رؤية متخيلة ولكنها تنبعث من زمن حقيقي وحينما أنجز عملا أؤمن به بكل جوارحي.

■ هناك لعبة طريفة داخل الفيلم فالبطل خالد الحداد هو الذي يصور فيلما عن القمع في الوطن العربي. فأين يقف فيلم خالد الحداد ومن أين يبدأ فيلم سمير حبشي؟

● حتى المتخيل من الواقع، وفيلم سمير حبشي مشهد متكامل من اللقطة الأولى إلى اللقطة الأخيرة وداخل سمير حبشي هناك مخرج هو ابن العشيرة في البقاع وكل أبطال الفيلم أنماط ونماذج أريد أن أعبّر عن هواجسهم وأحلامهم.

■ اختيارك لموضوع حساس مثل القمع والتعذيب هل هو نابع من قناعات سينمائية أم هو مجرد نقل لمجريات الواقع؟ لماذا هذا الموضوع تحديدا؟

● السينمائي لكي يكون صادق عليه أن ينطلق من نفسه ومن تجارب عاشها حتى يصل هذا الصدق إلى الجمهور، وحينما أقوم بفيلم يجب أن أكون مؤمنا به إلى أبعد الحدود وهو في النهاية يحمل نظرتي للحياة ورؤيتي للواقع. أما لماذا موضوع القمع تحديدا فذلك لعدة أسباب. فلبنان الذي كان يسمى «سويسرا الشرق» وبلد الحريات مر بظروف صعبة ما بعد الحرب وما بعد إتفاق الطائف وخاصة فترة الوصاية السورية التي امتدت 15 سنة وفي هذه الفترة ازداد القمع وأنا كسينمائي أردت تسليط الضوء على هذه الظاهرة لأن التاريخ لن يرحم السينمائيين إذا لم يتكلموا عن مشاكل شعوبهم وهذا القمع لا يشمل لبنان فقط كما قلت وإنما هو واقع في كامل أرجاء الوطن العربي.

■ لاحظنا في الفيلم انحسار لقطات الفرح في مدة قصيرة واتساع مساحة ورقعة مشاهد العنف المبالغ فيه في بعض الأحيان فهل الواقع بهذه القسوة؟

● الواقع أقسى بكثير مما ظهر في الفيلم وأنا لم أخترع شيئا من عندي بل عكست الواقع المعاش وهذه المشاهد العنيفة لاحظت أنها شدت المتفرج ولم تنفره لأنه رأى فيها نفسه وبيئته العربية القاسية، فما يحدث اليوم في الواقع العالمي ومنطقة الشرق الأوسط تحديدا هو هذا التضخيم الذي تقوم به السلطة والاعلام لخدمة مصالحهما ولعل الغارة التي قامت بها الطائرات الأمريكية خلال هذا الأسبوع على الأراضي السورية من الأشياء الخطيرة التي تندرج في هذا الواقع المؤلم والتي تتكئ على الارهاب لتحقيق مصالحها الشخصية وما تقوم به أمريكا في العصر الحاضر من محاصرة للشعوب واستغلال ثرواتها دون موجب حق لا أستطيع أن أسكت عنه بل إن فيلم «دخان بلا نار» كله إجابات وأسئلة عن الأزمة والوضع الذي وصلنا إليه.

ولم يعد هناك من يجرؤ على مقاومة الغول الأمريكي فالتهمة حاضرة وهي «القاعدة» فمن سيتضامن مع القاعدة؟!! ومن سيتجرأ على التضامن مع الشعب العراقي والمقاومة العراقية، الأكيد أنه سيتهم بالارهاب، إذن فلا أحد بعد اليوم سيتضامن مع الشعوب التي تقاوم الغطرسة والظلم والقمع وهذا ما تريده السلطة وأمريكا تحديدا.

■ هناك توظيف ذكي للجانب الوثائقي في هذا الفيلم فهل يعود هذا إلى بداياتك التي كانت وثائقية؟ وهل تختلف رسالة الفيلم الوثائقي عن الفيلم الروائي الطويل؟

● في السيناريو هناك عملية توظيف للقطات وثائقية لكي نوهم بأن هذه القصة قد حدثت فعلا، ورغم أنني أفتخر بشريطي الوثائقي الوحيد «سيدة القصر» الذي عرض في قرطاج سنة 2004 إلا أنني لا أنتمي إلى السينما الوثائقية التي تحفل بعدة مخرجين كبار. أنا مختص في الدراما التلفزيونية وفي الأفلام الروائية الطويلة. أما بخصوص الرسالة فلا أعتقد أنها تختلف عن بقية أنواع الفنون من حيث المضمون ولكن تختلف من حيث الشكل واللغة، يعني للرواية الأدبية لغة وللفيلم الوثائقي لغة وللفيلم الروائي لغة أخرى، اللغة السينمائية تختلف عن لغة الموسيقى ولغة الرسم. وفي النهاية كل الفنون تطمح إلى التعبير عن الذات الانسانية.

■ هناك إدانة صريحة في الفيلم للاعلام بوصفه مشوها للحقائق وخادما للسلطة؟

● الاعلام هو نوع من السلطة. وهذا الاعلام يتضامن مع السلطة السياسية ويساهم في قمع الناس، السلطة الاعلامية من أخطر السلط لذلك ينبغي حسن استغلالها وتوظيفها. ما نراه اليوم من خرق للشرعية والمواثيق الدولية إنما يتم بغطاء اعلامي وحرب اعلامية مفبركة تحاول تزييف الحقائق وخدمة المصالح السياسية الضيقة على حساب المصالح الانسانية.

■ وفي هذا الاطار هل تعتقد أن الاعلام العربي مقصّر في خدمة مصالح الأمة العربية؟

● أنا برأيي الاعلام العربي والسينما العربية والأدب العربي والسلطة العربية والأقطار العربية كلها مقصرة وهذه كلها ظواهر مرتبطة ببعضها البعض ارتباطا جدليا. الاعلام يتبع السلطة والسينما تتبع السلطة والثقافة تتبع السلطة، فالتخلف في دول العالم الثالث سائد في كل العقول والحقول. لذلك من المفروض أن نسعى جاهدين سواء من خلال الأدب أو السينما أو الاعلام إلى تطوير الواقع وكشف الحقائق وخدمة مصالح الشعوب العربية المغلوبة على أمرها.

■ ماذا تعني لك السينما؟

● السينما هي وسيلة تعبير عن طموح الناس ومعاناتهم. السينما هي أقوى سلطة في العالم.

■ هل تصنف نفسك ضمن تيار السينما الملتزمة؟

● أنا ملتزم بالانسان وبقضايا الناس فقط، لذلك فالسينما لا تهمني في حد ذاتها وهي ليست غاية بقدر ماهي وسيلة تساعدني على التعبير عن وجهة نظري ومواقفي في هذا العالم.

المخرج سمير حبشي: «السينما هي وسيلة تعبير عن طموح الناس ومعاناتهم»

قراءة

«نقطة النور» لبهاء طاهر
صراع ضد الحتميات السائدة

❑ محمد سمير عبد السلام

تتميز بعض الكتابات الإبداعية الجديدة بمحاولة القبض على الظواهر الروحية، واستعادتها في أشكال عديدة مختلفة تؤكد ثراء التجربة الإنسانية، وقدرتها على تجاوز المنطق الثقافي الشمولي الذي يهمشها ويؤجلها، ولكنها تظل فاعلة من خلال التمرد، والاختلاف، والحب، والتصوف، والحلم، والفن، والارتقاء المعرفي بالذات، في توحدها باللاوعي، وتداخلها الثقافي والروحي مع الآخر. وقد رصدت الدراسات الثقافية المعاصرة، أهمية هذا التحول الروحي في الكتابات المعاصرة، وأرى أن بروز هذه الظاهرة يدل على ثلاث نقاط:

* الأولى: أن الحياة الروحية تنمو كظواهر لها خاصية التكرار الأول في الوعي واللاوعي، مما يؤكد أصالتها وقدرتها على تحريف المسار الحتمي للشخصية، وسياقها الحضاري.

* الثانية: قدرة الظواهر الروحية على تجاوز منطق السوق، وسيادة القيم الحتمية، والمادية مما يؤكد وجود عمليات استبدال وصراع بين أكثر من مبدأ ثقافي، ويذكرنا هذا المبدأ بدراسات رايموند ويليامز، وإيجلتون، ودريدا حيث يفقد المركز الثقافي الهيمنة على الواقع أو النص.

* الثالثة: التداخل بين عناصر الحياة الروحية وأشكالها، ومن ثم التطور الخلاق دون نهاية لتجليات هذه الحياة. وبهذا الصدد يرى كارل يونج في المبادئ الأساسية لعلم النفس التحليلي، أن تداخل المصادر المادية، والعقلية المنتجة للحقائق الروحية سينهي قضية النزاع بين الروح، والمادة؛ فالصور الذهنية التي تخلفها النار تشبه الخوف من الأطياف المجردة، كما يرى أن كلا من ثقافات الشرق، والغرب يمكنها ولوج الروح الإنسانية الغامضة. إن كشف يونج عن أهمية الحقائق الروحية وولوجها لبنية المادة، وأخيلتها يدل على فاعلية هذه الحياة الخفية، وتجلياتها الفريدة، ومظاهرها التي تؤكد ثقافة الاختلاف مقابل سيادة قيمة ثقافية واحدة، ولكن بروز الكتابة عن هذه الظواهر مرة أخرى في الأدب المعاصر يعكس قوة مضطربة خلاقة ومجهولة تصارع الحتميات السائدة، وتحاول استبدالها. ومن أهم النصوص التي تؤكد هذا التوجه في الكتابة "نقطة النور" لبهاء طاهر، وقد صدرت عن هيئة الكتاب المصرية، ودار الهلال. لقد حاول بهاء طاهر القبض على الطاقة الروحية القوية والمنقسمة من خلال شخصية سالم؛ فهو نقطة التمرد في نشوئها وتطورها المضاد لمنطق الأبوية الثقافية؛ فالشتائم التي كان يطلقها ضد أفراد عائلته، ثم الأصوات التي كان يعايشها عقب فراق لبنى، تدلان على التنازع بين ارتقاء الوعي عن طريق التوحد بالظواهر الروحية الأعلى، والسقوط في آلام الحتميات الشمولية التي تجعل من هذه الظواهر طاقة مدمرة تؤكد اختلافا لا يمكن القبض عليه، أو تحديده، ولكن المسار الروحي لسالم ينتهي في الزهد، وتفكيك منطق السوق من خلاله؛ فقد استغل عمله كمحاسب متفوق في شركة لاحتقار قداسة المال السائدة، فخصص دخله لمساعدة أخته فوزية، وأبيه شعبان. لقد حول سالم دورة المال الإيجابية في اتجاه سلبي قوامه استعادة الحب، والرغبة في التوحد، بالعوالم الروحية، التي بدأ تكوينه المادي / الإبداعي في إنتاجها خارج الذات بمدلولها الضيق.

هل كان سالم هو الروح الإنسانية القلقة في مسيرتها نحو العناصر الكونية الفريدة الكامنة في اللاوعي؟

هل كان انحرافا عصابيا للمادة؟

إن سالم يعبر عن ذاته في ذلك الآخر المتمرد، وتجلياته الروحية الكامنة في رغبة الانفصال، وفي احتقار الجد الأخير للجسد، وانهيار المنزل الذي يخلف وراءه أشباح الذكرى، وسقوط المادة في نقطة النور الغائمة، التي تقاوم التحديد.

تقوم رواية "نقطة النور" على تطور العلاقات الروحية في ثلاث شخصيات؛ الجد توفيق، وسالم، ولبنى، وكل منهم يحمل رغبة لا واعية في معرفة ذاته من خلال الآخر؛ فالجد يحمل أطياف زوجته الأولى سمية، ونصائح زميله أبي خطوة المتصوف، وسالم يرغب في التوحد بالقوى الروحية المجهولة، وكذلك لبنى، والأخيرة تبحث عن التوحد بين المادة والروح معا في سالم. وقد جمع السارد بين تداخل وعي الشخصيات الثلاث من خلال الحوار، وكذلك استبطان كل منهم؛ ليكشف عن الرغبة في المعرفة بتلك النقطة التي تلتقي عندها الذات بالروح الإنسانية المفقودة. وتكشف الإشارات الثقافية - النصية عن تحول المجتمع باتجاه قيم المنفعة وحدها، وإهمال المبدأ الإنساني، ومن ثم صارت الرواية بحد ذاتها استعادة للعنصر الروحي الكامن في هذا المجتمع، وقدرته على التطور من خلال هذه الشخصيات، وغيرها، دون نهاية.

إن بهاء طاهر يؤرخ لولادة مبدأ الروح منذ كانت طاقة غائمة في سالم حتى انشطارها إلى تجاوز الجسد في الجد، وولوج طاقة الحب للمادة في كل من سالم، ولبنى؛ وكأنه يؤكد تشابه البدايات، والنهايات الغامضة لهذا المبدأ. هذا الغموض يدل على قداسة روح الإنسان في مقابل آلية السلطة الثقافية، وهنا تظل نقطة النور معلقة مرة أخرى؛ لتكمل عمليات التطور، والاستبدال دون الإحاطة المعرفية بها. إن نقطة النور في رواية بهاء طاهر ترتبط بالمعرفة، والكشف لا الوجود، والكينونة المتعينة في الزمان والمكان؛ فالوجود التاريخي يعني التحقق، والبداية، والنهاية. ورغم تداخله مع الغياب فإن النقطة تمثل الوجود قبل حالتي الحضور والغياب؛ فهي مجال توليدي للإبداع والمعرفة معا، ويظل البحث عنها دائريا بينما تتجلى هي في التداخل الروحي بين الأصوات، والشخصيات، ومفردات الواقع، وتظل مع ذلك مؤجلة في أخيلة المادة، والمستويات العميقة من الأنا. تتجمع إذا الوحدات السردية في نص بهاء طاهر حول حدث خفي يقوم على لقاء الشخصية بالظاهرة الروحية، ومن جهة أخرى التجليات المختلفة التي تبدو من خلالها هذه الظاهرة بصورة كونية تتحدى الزمكانية.

ونستطيع أن نرصد بعض المستويات الدائرية لهذه الظاهرة من خلال بعض المقاطع السردية في النص.

* أولا: بكارة التعرف على الآخر الطيفي، الذي يظل وجوده معلقا في العوالم الروحية المتخيلة، وفيها يسود الإحساس بالغربة، والانفصال، والقلق، وهو ما شعر به سالم عندما وصف للجد الكائنات، والأصوات التي كان يراها في مرضه ؛ فقد كانت تتجلى في صور غزلان، وخيول، أو ترتدي فساتين، أو لباس العسكر، أو المعاطف البيضاء، أو في هيئة أحجار، أو أشجار، كما كانت تحدث ضجة كبيرة. إن سالم هنا يعاين لحظات التكوين الأولى دون أن تتحقق في مادة بعينها، وكأنها تجارب للتحول الإبداعي الكامن في اللاوعي، ولكنه تحول يتميز بالانفصال، والعصابية ؛ لأنه يصارع المادة، ويحاكي صخبها الأول في مواجهة الوعي. هل هي دهشة اللقاء الأول بالعالم؟ أم أنها تحاكيه من خلال ما يتجاوزها وهو العالم المتخيل الذي يجسد القوة الغريبة في مستوى التحول لا الوجود؟

ورغم خفوت لقاء سالم بهذه الكائنات فقد ظلت الظاهرة الروحية تراوده، ولكن في مستوى النور، والتصوف الذي يدفعه لاحتقار المال.

* ثانيا: التفاعل الخلاق مع الأطياف؛ وقد يكون للأطياف أصل في الذاكرة، و لكنها تتخذ موقع العارف الذي يعيش عالما جديدا ضمن السياق الروحي، و يوشك ذلك السياق أن يمتص من يراه، أو يتجاوز الأخير من خلاله آلام الجسد، وهذا المستوى من التجربة الروحية يستعيد عناصر ثقافية عديدة كامنة في اللاوعي الجمعي مثل التراث البوذي، واستبدال الجسد بالروح عند القديس بولس وكذلك كتابات النفري، ولكن بهاء طاهر لا يكتفي بهذا المستوى من التصوف الذي تجلى بصورة أوضح في شخصية الباشكاتب عقب مرضه، وبحثه عن ذاته، ولكنه يؤكد أيضا مستوى الحب، وفيه يستعاد الجسد مرة أخرى، وتظل نقطة النور تتراوح بين تحولات الجسد، ثم غيابه، ثم استعادته، أو تأجيله. لقد رأى الباشكاتب حلما يقف فيه طيف سمية في الصحراء، وتشير له بيدها نحو الخلاء، وفيه يرى وجوها كأنه يعرفها، ولا يتذكرها.

هل هي نبوءة التحرر؟ أم الغياب؟

إنه العالم الروحي الذي يغوي الجد بالتفاعل معه، والتحرر من المرض. هل كان هذا العالم كامنا في الذاكرة، وينمو داخليا في وعي ولا وعي الجد؟ إن أطياف أبي خطوة وسمية تشير إلى الاتساع الكوني للروح، في مقابل مرض الجد وانهيار منزله الواقعي، ومن ثم بدأ يكتشف الحياة الإبداعية للغياب.

* ثالثا: بهجة الحب والخلاص المتخيل معا، وفي هذا المستوى تتجلى نقطة النور من خلال رؤية سالم، وقد التقى بلبنى في ممر مظلم، وحلق فوقهما طائر أبيض ضخم له مخالب، فهربا ثم وجدا نقطة النور في نهاية الظلمة.

رأي

العولمة خلقت مناخا فكريا مترهلا
نهوض العرب مشروط بشفائهم من عقدة «الخواجة»

❑ د. حبيب بولس*

"الركود المحزن في حركتنا الأدبية ليس كارثة طبيعية، بل نتاج واقعنا.. بإمكاننا ويجب إعادة فحص البيت الثقافي وإعادة الأصالة والمهابة للحظة التي بهتت ألوانها. إذا علمنا ونشطنا وأبدعنا بشكل مثير للاحترام، نعيد لحركتنا الأدبية احترامها ومهابتها وتأثيرها في مجتمعنا". المتتبع لحركتنا الأدبية يجد ركودا ما يسيطر عليها هذه الأيام، حتى باتت تقتصر على احتفالات "التكريم" و"التأبين". ونحن إذ نجل هذه الاحتفالات ولا ننتقص من أهميتها، فإننا ندهش في الوقت ذاته لمثل هذا الركود الذي بات يهدد حياتنا الأدبية، بل حياتنا الثقافية برمتها. وهذا الأمر الذي يدعونا إلى التساؤل وبصوت مرتفع: ما الذي يجري؟ لمَ هذا الفتور؟ ما هي الأسباب التي أدت إلى مثل هذه الحالة؟ وكيف يمكن الخروج منها؟ ولكن، ونحن نطرح مثل هذه الأسئلة يجب ألا يغيب عن بالنا أن هناك بعض الاهتمامات التي تضيء ساحتنا الأدبية، بمعنى أنه توجد لدينا أحيانا لمعة هنا ولمعة هناك، ولكن حتى هذه اللمعات حين تحدث كإقامة ندوة أو محاضرة، إذا فحصنا بهدوء، نجد أن من يحضرها لا يتجاوزون عدد أصابع اليدين، الأمر الذي يدعو إلى القلق والخوف في آن معا.

انهيار اليقينيات

إنها إذن أزمة قائمة، وعلينا جميعا أن نتساءل لماذا؟ لأننا إذا عرفنا الداء، هان علينا توصيف الدواء. هل سر هذا التراجع كامن في المواضيع التي تطرح؟ بمعنى هل المواضيع المطروحة لا تمس الجوانب التي تهم الناس كي يقبلوا عليها بشغف ليستفيدوا من تجارب الآخرين؟ هل نحن كأدباء أصبحنا منقطعين عن هموم الناس، عن هموم مجتمعنا وصرنا نحلق في أجواء بعيدة؟! أم أن السر كامن في الناس أنفسهم؟ أي أنهم صاروا ينفرون من كل ما هو جاد، وربما تسرحهم السلعة الأدبية الرخيصة، التي لا تدعو إلى التفكير العميق، بل إلى ملء الفراغ؟

اعتقد أن الأمر منوط بالناحيتين، فنحن جميعا نعيش في فترة جَزر صعبة، بدأنا معها نلاحظ أن عددا كبيرا من اليقينيات التي درجنا عليها، والتي كنا نستند إليها، وننطلق منها، ونروج لها، قد بدأت تنهار وذلك بسبب ما يجري على الساحة السياسية العربية عامة، والفلسطينية بشكل خاص، حيث طغى السياسي على الثقافي والضحل على الجاد، فأربك هذا الأدباء والناس معا، وصار الأديب والمثقف يعيشان في حيرة، لا يعرفان معها كيف ينقلان الخطى على أرض ساخنة، أرض مليئة بالندوب وبالحصى. وحين يعيش الإنسان- وليس مهما هنا نوعيته- ظروفا متقلبة ساخنة سريعة الوتيرة حتما سيصاب بالخمول وبالذهول، مما يدفعه لقلة حيلته إلى الهروب من المواجهة للترفيه عن النفس، وذلك عن طريق مشاهدة البرامج السطحية الغثة- أو قراءة الأخبار السريعة، التي تنبش في الخصوصيات، أو متابعة البرامج الإذاعية الرخيصة التي تقوم على الأغاني "العاطفية" المبتذلة، وعلى بعض التعليقات من هنا وهناك.

والمهتمون شهود عيان- على مضض- على ما يجري حقا. خاصة تعلق الناس بالفضائيات التي تركز على تأجيج العواطف وإثارة الغرائز بوسائل رخيصة، بحيث صارت البرامج الطاغية فيها هي تلك البرامج الدعائية التي تعزف على أوتار"حساسة"، خاصة والناس يمرون بأوضاع صعبة على جميع الأصعدة وبالذات الصعيد الاقتصادي. هذه الأوضاع تجعل متابع هذه البرامج يحلم ويسرح ويعيش ساعات طوالا مقطوعا عن واقعه محلقا وراء سراب. أو البرامج التي تدغدغ الأحلام وتجعل مشاهدها كالمخدر، كتلك البرامج التي راجت مؤخرا في الفضائيات العربية (السوبر ستار، وستار أكاديمي) وغيرها أو البرامج "الترفيهية" التي لا تقدم أي زاد فكري لمشاهديها، بقدر ما تقوم على التلاعب بعواطفهم وغرائزهم.

مناخ فكري مترهل

إن التراجع السياسي الحاصل، والضغط الاقتصادي والخمول الفكري النابع منهما يلعب دورا هاما في خلق جو من اللامبالاة والهروب والتراجع عن الجدية إلى الترفيه، عن الثمين إلى الرخيص، عن المهم إلى التافه. ولقد لعبت "العولمة" دورا هاما في خلق مناخ فكري مترهل أدى بالتالي إلى خمول أدبي ثقافي، فالعولمة التي تهدف إلى تحويل الشعوب والمجتمعات إلى قطعان استهلاكية تلهث وراء نمط الحياة الأميركي، انتصرت على ما يبدو في تحويل كل الوسائل والآليات التي كان من المفروض أن تلعب الدور التثقيفي والأدبي الجيد، إلى وسائل وآليات تروج للسلعة الرخيصة السهلة التناول، وحتى الصحف التي كانت تلعب دورا تثويريا وتنويريا صار همها المحافظة على نفسها من الناحية الربحية فصرت ترى لهاثها وراء الإعلان وذلك على حساب المقال الجيد، وأصحاب تلك الصحف رغم وعيهم بالمشكلة يرفعون الأيدي مستسلمين، ويطالبون الكتاب والأدباء "بالاختصار" وبالحذف وبتقصير المقالة بحجة أن الناس "لا يملكون الوقت" لقراءة مادة جادة أو طويلة. والأمر الغريب أن الناس فعلا صاروا ينفرون من مثل هذه المقالات ولا يقرؤون سوى عناوينها ويعرضون عنها إلى النتف الصحفية والأخبار الغريبة والمثيرة، هل صار الوضع الأدبي الثقافي الجاد منفرا؟ وهل ستصير مقالاتنا وأشعارنا وقصصنا ورواياتنا ومسرحياتنا وأغانينا، كي تكون مقروءة أو مسموعة، وبسبب العولمة، "ساندويتشات" أدبية سريعة التناول والأكل والهضم؟!

هل ستسد هذه "الساندويتشات" السريعة مكان الطبخة المتقنة الشهية؟ هل ستصير قصيدتنا قرص "همبرغر"؟ وقصتنا قطعة دجاج من "ماكدونلدز"؟ وفي أحسن الحالات رغيفا من "الباجيت"؟ هل سيجنح أدبنا، مع هذا المد الاستهلاكي السريع، من الأصالة إلى التهجين؟ هل سيصير شعرنا- فخرنا-أغنية مغناجة قصيرة باهتة الكلمات واللحن تستعيض عن ضعفها بعرض مفاتن المطربة؟ كما هو الحاصل اليوم في الأغاني الرائجة بين شبابنا؟. هل سيصير أدبنا "هيفاء وهبي"؟ وهل سنسمح بذلك؟ وهل هي فترة عن قريب ستزول؟ أو غيمة عن قريب ستنقشع؟ لا أعتقد ذلك. إذن كيف يمكن الخروج من هذه الأزمة؟ كيف سنحرك الحياة من جديد في حركتنا الأدبية والثقافية؟ نحن لا نملك لهذا الأمر وصفة سحرية. ولكن ما يمكن قوله في هذه العجالة، هو أن أدباءنا ليسوا منقطعين عن قضايا شعبهم ومجتمعهم، ولكنهم بهتوا أمام الحاصل، لذا فالوقت قد حان لأن نصحو جميعا.

اتحاد حقيقي للأدباء

إننا مطالبون اليوم بفحص بيتنا، مؤسسات وجمعيات وأفرادا. والمسؤولية الكبرى بطبيعة الحال تقع علينا نحن أعني الذين يتعاملون مع الأدب والثقافة. علينا أولا تأثيث بيتنا جيدا، وذلك بإقامة اتحاد عام حقيقي وشامل للأدباء يكافح هذه الظاهرة الشائهة والناتئة، ويدعو إلى المفيد ويرد الهبة إلى أدبنا بوسائل شتى، أولها احترام أدبنا والحث على مواكبته ودعوة الأدباء إلى احترام بعضهم واحترام إنتاجهم والتأشير على الغث والساقط لتجنبه. وهكذا إذا احترمنا أدبنا واحترمنا بعضنا ورفعنا مكانة وهيبة الأديب، لا يتجرأ الرخيص والتافه على التسرب من جهة، وتحترمنا المحافل الرسمية والاجتماعية من جهة أخرى، وتستجب لدعوتنا إلى أن تضع في أعلى سلم أولوياتها الأدب وأن تستنفر للنهوض به كل القوى والوسائل إذ ما فائدة المشاريع المادية، إذا خلا المجتمع من روحانيته. كذلك علينا ونحن نمر بمثل هذه الأزمة الملائمة بين واقعنا ومستجداته وبين أدبنا؟ وطرح المواضيع الهامة. علينا طرق أبواب المدارس والمعاهد العلمية لتوعية طلابنا، وذلك عن طريق ابتكار برامج أدبية ثقافية جاذبة لأن ما سبق صار تقليديا مملا، علينا أن نفكر بوسائل وطرق جديدة تجمع بين المشتهى والحاصل، وتعرف كيف توائم بينهما، علينا أن نعصر مضامينا، وأن ندفع أساليبنا نحو الحداثة لتلائم اليقينيات الجديدة الآخذة في التبرعم، ولكن شريطة أن نحافظ على المرتكزات والأصول. علينا أن نجدد في لغتنا- حجارة أدبنا- لتحتضن الحاصل والمستجد. إذا فعلنا كل هذه الأمور يصبح الركود المسيطر اليوم استراحة محارب نجمع فيها القوى ونستعيد عافيتنا. نحن في أمس الحاجة اليوم إلى النهوض بأدبنا ولكن النهوض بالأدب مشروط بنهوضنا نحن وذلك بالتخلي عن خلافاتنا وعن عقدة نقصنا أمام الأجنبي. بهذا فقط نستطيع أن نرد إلى لحظة أدبنا التي بهتت ألوانها البهاء والأصالة وال